

الجائحة في خدمة المافيات.. كيف ازدهرت تجارة الإجرام

المنصات الرقمية والدرون واستمالة الناس بالمساعدات طرق متنوعة تتبناها العصابات



واجهة فقط لكسب المزيد من المدميين

وتتوقع الوكالة أن تشهد حالات الاعتداء الجنسي على الأطفال واستغلالهم لتحقيق مكاسب تجارية عبر الإنترنت ارتفاعاً رغم أن العدد انخفض خلال الربع الأول من العام الجاري، قياساً بالحالات التي تم تسجيلها في الربع الأخير من العام الماضي. وبناءً على الزيادات ربع السنوية في السنوات القليلة الماضية، كانت الترتيبات تصب في تسجيل 4 حالات في أول ثلاثة أشهر من 2020. ولكن بدلاً من ذلك، كان هناك 2871 حالة فقط، أي 28 بالمائة أقل من هذا التقدير. وكما أوضحت كيت روبرتس من منظمة مكافحة العبودية الدولية، فإن تقليص حجم الخدمات الكبرى جعل من الصعب تحديد الضحايا، في حين أن قيود الإغلاق القانوني والتهديد بالاعتقالات أو الغرامات جعلت من السهل تخويف المتاجرين والعصابات الإجرامية للبقاء بعيداً عن الأنظار.

عصابات المخدرات سوقت منتجاتها فترة الإغلاق عبر الإنترنت مع تقديم خدمات التوصيل بالدرن

وربما الغت كل من وول مارت، وأمازون تدريجياً بدلات المخاطر العاملين في مايو الماضي، لكن حساب أمازون على تويتر ظل غارقاً في مقاطع الفيديو التي تمجد شجاعة عملها رغم وفاة بعض موظفي المستودعات بالفعل بسبب كورونا، في حين تفاخرت وول مارت بإعطائها مكافآت إلى "شركاء" مخلصين.

ومرة أخرى، تحذو جماعات الجريمة المنظمة حدو هذه الشركات، ففي ريو دي جانيرو وكيب تاون، نصبت عصابات المخدرات نفسها كحامية للمجتمع، وفرضت قواعد الإغلاق ووزعت طروداً غذائية على العائلات. وفي المكسيك، نشرت ابنة رئيس الكارتل السابق سبي السمعة خواكين إيل تشابو غوزمان مقاطع فيديو على الشبكات الاجتماعية لتصوير بعض المساعدات باسم "تشابو" التي تم توزيعها على المجتمعات، لتحذو بذلك حدو حملة وول مارت المساعدة "مكافحة الجوع، شرارة التغيير".

ويؤكد إدموند روج، محرر في ريو أون واتش، الذي ينظم تغطية مجتمعية في الأحياء الفقيرة بالمدينة إن مسألة فرض عصابات المخدرات حظر التجوال حظيت بالكثير من اهتمام الصحافة، لكن لا يشعر أن هذا أمر مضمون. وقال إن الافتقار إلى حكم الدولة في هذه الأحياء الفقيرة يسمح للعصابات بالتعدي، لكن "جماعات المجتمع المدني هي التي تتولى بالفعل زمام المبادرة في نشر حملات التوعية".

وبالنسبة لها، فإن هذه معادلة تجارية بسيطة، فالموازنة تتراوح بين توفير التكاليف وجودة المنتج الذي يمكن أن يصل إلى يد المستهلكين. وقد أكد المتحدث باسم إدارة مكافحة المخدرات أن أسعار الفنتانيل كانت الأكثر استقراراً من بين أي مخدرات أخرى خلال فترات الوباء. ولا تواجه العصابات، التي لا تقديها مضايقات مثل حقوق العمال ومطالب النقابات والنخبين، نفس المضاعفات التي تواجهها الحكومات أو حتى الشركات المشروعة عند اتخاذ قرار بشأن دعم قوتها العاملة أثناء فترات الجائحة. ويوضح غالوتشي أن بعض العصابات الروسية لديها عدد أكبر من العمالة مما يحتاجون إليه بالفعل في كشوف المرتبات، وهؤلاء يرسلونهم في إجازة مؤقتة، بينما الذين يقعون في أسفل ترتيب التسلسل معرضون للخطر.

وقال نيل غايلز، مدير القنصلية في منظمة ستوب ذا ترافيك لقد "تراجعت كل أنواع الإتجار بالبشر خلال الجائحة بما في ذلك الإتجار الجنسي، ولكن كان هناك اتجاه نحو ممارسة الجنس باستخدام كاميرا الويب وهذا بالفعل سوق كبير". ويعتقد غايلز أن العديد من الأشخاص الذين تم تهريبهم إلى بريطانيا من أجزاء أخرى من أوروبا قد تمت إعادتهم في بداية الوباء، ولكن أولئك الذين بقوا، من المرجح أن يكون قد تم نقلهم إلى مزارع القنب السرية، التي تعد سيدة السمعة لاعتمادها على العمالة الفيتنامية الرخيصة أو إعادة توزيعهم كعمال متعاقدين في الصناعات القانونية مثل إنتاج الأغذية وخدمات التوصيل. وكلا هذين القطاعين قد سمحا باستقبال المزيد من العمالة من أجل تلبية الزيادات في الطلب ووسط هذه الفوضى من غير المرجح أن يلاحظوا أن دخل الموظف الجديد يتم الاستيلاء عليه من قبل العصابات أو المتاجرين بالبشر.

تنويع الأنشطة

توفر استراتيجيات تنويع الأنشطة التي تتبعها جماعات الجريمة المنظمة أثناء فترات الوباء بعض الأدلة على المكان الذي ربما ذهبت إليه هذه القوة العاملة. وقالت لوسيا بيرد رويز-بينيتيز دي لوجو، المحللة البارزة في المبادرة العالمية لمكافحة الجريمة المنظمة، إن "زيادة الطلب على أقنعة الوجه الطبية تؤدي إلى زيادة في العمل الإجباري، حيث تتدافع الشبكات الإجرامية والمنتجين غير الرسميين للمشاركة في هذا الإجراء". وبلغ إجمالي عمليات الاحتيال المتعلقة بكورونا على نطاق صغير في بريطانيا، مثل مبيعات معقمات اليد المزيفة وأدوات الاختبار المزيفة، حوالي مليون دولار في شهر مارس وحده. وقال المتحدث باسم الوكالة الوطنية لمكافحة الجريمة في بريطانيا إن جرائم الإنترنت والاحتيال، وخاصة هجمات التصيد الاحتيالي، زادت منذ بداية الأزمة.

وينطبق هذا على عمليات التسليم الدولية والمسافات الطويلة. وأوضح ميشا غليني، مؤلف مسلسل "ماك مافيا"، أنه نظراً لأن شبكات التوصيل بدأت من "دي.إتش.إل" مروراً بمكاتب البريد و"فيدكس" تعمل باقضى سعة، فمن الآمن جداً الآن توزيع المخدرات عبر هذه القنوات دون جذب الانتباه. وقال غليني "لا شك في أن الزيادة الكبيرة في النشاط على الشبكة المظلمة منذ بدء الإغلاق ستعزز الأسواق الإجرامية التي تتعامل على شبكات الإنترنت".

وقالت فاندانا فيليب براون من معهد بروكينغز "المبالغ الضخمة من رؤوس الأموال المتاحة لجموعات الجريمة المنظمة تعني أن لديهم أيضاً سيولة ضخمة للاستثمار في الابتكار". والمقصود بالابتكار هنا هو أن تجار المخدرات لديهم حافز أكثر من أقرانهم المبتكرين مثل أمازون أو أوبر إيتس لتطوير طائرات ذاتية القيادة وتقنيات توصيل أخرى للكمامات الصغيرة، والتي لا تتطلب التواصل المباشر.

وفي حين أن الوباء قد خلق الكثير من العوقات، لكن هذا الاتجاه يتقدم في طريقه من دون توقف. فقد استخدمت المجموعات الإجرامية الطائرات ذاتية القيادة لإلقاء المخدرات في السجون لسنوات، بينما تستخدمها عصابات أميركا اللاتينية لتهريب المخدرات عبر الحدود.

وبدأت منظمة غاليسكو نيو جينيريشن كارتل المكسيكية، التي تتحكم في حوالي ثلث المخدرات التي يتم توزيعها إلى الولايات المتحدة، في تسليم الطائرات ذاتية القيادة بمتفجرات سي 4 لتنفيذ ضربات وهجمات ضد أعدائها.

وقالت فيليب براون، التي توقعت التحول إلى الطائرات ذاتية القيادة والغواصات خلال السنوات العشر إلى الخمس عشرة القادمة "كان المجرمون يتحركون في هذا الاتجاه قبل فترة طويلة من انتشار كورونا مع كل أنواع التجارب والابتكار ومن المرجح أن تصبح تجارة المخدرات هي المجال الرائد".

وتعمل عصابات الجريمة المنظمة على ابتكار طرق تقصر سلاسل التوريد وتحد من التعرض للمخاطر على طول الطريق وأحد الأمثلة على ذلك هو إنشاء نسخ تركيبية من المخدرات داخل دولة مستهلكة، مثل الفنتانيل كبدل للهيريونين وهذا يلغي الحاجة إلى نقل البضائع عبر الحدود، ولكن هناك سبب اقتصادي كذلك.

وتقول براون إن هذه المخدرات تسبب الإدمان، وهو أمر مفيد أيضاً للجماعات الإجرامية طالما أنها تمكن من عدم قتل الكثير من المستخدمين نتيجة للجرعة الزائدة.

ومع تزايد عمليات التوصيل للمنازل لجميع المنتجات في جميع أنحاء العالم، أصبحت مراقبة السلع غير المشروعة واعتراضها تحدياً لا يمكن السيطرة عليه. وتقول فيليبا لوم، وهي محاضرة كبيرة في جامعة باث بالمملكة المتحدة، إن بعض عشائر كامورا في جنوب إيطاليا، المكافئ المحلي للمافيا الصقلية، بدأت في توصيل العقاقير والمخدرات إلى منازل المستخدمين الذين اشترروا منتجاتهم سابقاً في الساحات المحلية.

ويعد التوصيل إلى المنازل هو نموذج توزيع منخفض المخاطر يستخدمه التجار الأكثر حيلة لعقود من الزمان، ولكن قد تكون أزمة الفايروس هي الدافع الذي يحتاجه المستخدمون والتجار للابتعاد تماماً عن صفقات التسليم في الشوارع.

وفي الوقت الذي يرى إيلي أن مكاسب العلاقات العامة لجماعات الجريمة المنظمة في أي مكان تعد عذراً مقبلاً للتلاعب بالسوق من خلال التظاهر بالنسرة وتضخم الأسعار، يعتقد مارك غالوتشي، المحاضر والكاتب عن الجريمة العابرة للحدود والأمن الروسي، أن الشيء نفسه يحدث في روسيا لأن الهيرويون متوفر بكثرة وهناك مخزونات داخل روسيا على عكس الحدود في آسيا الوسطى والتي تحتفظ بها العصابات لأنها لا تريد إغراق السوق وخفض السعر.

ضعف المراقبة

عند تسليط الضوء على ما يحدث فإن من الواضح أن عمليات الإنتاج وخاصة الأفيون في أفغانستان وميانمار لم تتأثر، كما تظل الحدود قابلة للاختراق مهما تم تشديد المراقبة، ففي أي مكان يمكن أن تنتقل فيه البضائع المشروعة، يمكن للسبع غير المشروعة أيضاً الانتقال. وبين الفينة والأخرى يتم القبض على بعض المهربين وهم يستغلون حركة البضائع الأساسية، وعلى سبيل المثال اعتقل في أبريل الماضي رجل بولندي كان ينقل شحنتين من أقنعة الوجه بالقرب من مدينة كاليه الساحلية الفرنسية، عندما عثر الضباط على 31 رطلاً من الكوكايين مخبأة داخل إحدى الطرود.

ويقول نيل وودز، وهو ضابط سري سابق قضى أكثر من 14 عاماً في التسلسل إلى عصابات المخدرات في المملكة المتحدة ومدافع عن إصلاح سياسة المخدرات في الوقت الحالي "ساندهش حقاً إذا توقف توريد المخدرات إلى البلاد على الإطلاق". وحتى لو تم إيقاف تشغيل كل سفينة عبارة وسفينة حاويات، وكل شيء تماماً بموجب قيود جائحة كورونا، فإنه لا يزال لدينا خط ساحلي هائل لا يمكننا مراقبته في أفضل الأوقات وإلى جانب ذلك، لا يمكننا إيقاف الفساد الذي يساعد على دخول المخدرات".

لم تكن العصابات الإجرامية في الكثير من مناطق العالم إلى الراحة أو الاستسلام للأمر الواقع في ظل أزمة جائحة كورونا، بل على النقيض من ذلك، حيث تؤكد كل المؤشرات أن أنشطتها وأعمالها، التي تتنوع من بيع المخدرات إلى الاتجار بالبشر، ازدهرت بشكل لافت طيلة فترة الإغلاق بعد أن طورت من أساليبها مستفيدة من التكنولوجيا عبر تقديم عروض مغرية في الشبكات الاجتماعية للزبائن مع إمكانية تقديم خدمات التوصيل.

واشنطن - لفتت المافيات الخارجية عن القانون والمنتشرة في الكثير من بقاع العالم الأنظار إليها في الفترة الأخيرة، ليس لأنها توقفت عن النشاط كما حصل للعديد من القطاعات بسبب قيود الإغلاق، وإنما نتيجة ازدهار أعمالها حيث شكلت علامة استغراب للبعض من المتابعين. وطورت هذه العصابات نمط خدماتها، التي تشمل التسويق وخدمات التوصيل، بحيث لا يمكن تمييز لغة الإعلان، الذي يروج لمنتجاتها المعروضة للبيع عن لغة المئات من بائعي التجزئة الآخرين عبر الإنترنت الذين يرسلون رسائل بريد إلكتروني تسويقية، ولكن عند الغوص في التفاصيل تجد أن ما يثير الدهشة هو أن السلع المعروضة تضم كل من الكوكايين والكيتامين والإستاسي. ويؤكد ليندسي كينيدي وناتان بول ساوترن في تقرير نشرته مجلة فورين بوليسي الأميركية أنه من المنطقي أن يقوم تجار المخدرات في غلاسكو بتكثيف استراتيجيات التسويق والمبيعات لتلبية احتياجات المستهلكين العالقين في منازلهم أثناء فترات الوباء. وفي حين عانت الصناعات، التي تنتم بالاصصال المباشر بالزبائن مثل الضيافة والسياحة من أضرار اقتصادية ميعقة، إلا أن الترفيه في المنزل يتضح أنه يزدهر.

تشبث الانتباه

بالنسبة لجماعات الجريمة الدولية المنظمة، كانت أزمة الوباء فرصة اقتصادية هائلة، وبينما تتوخى الكارتلات وعصابات الاتجار الحذر من أي شخص آخر بشأن التفاعل المباشر أثناء انتشار كورونا، فإن هذه المنظمات لا يمكن أن تترك مصالحها فريسة للفشل.

نيل غايلز

القوض التي خلفها كورونا أدت إلى زيادة عمليات الاتجار بالبشر



وتستغل كارتلات المخدرات من المكسيك إلى جنوب أفريقيا الأزمة لتوحيد وتنمية أعمالها، وتنويع أنشطتها والقضاء على المنافسة في هذه العملية. وهذا لا يعني بالضرورة أن السوق السوداء تعمل كالعتاد، حيث مع عزل الكثير من سكان العالم لأنفسهم داخل منازلهم تراجعت المظاهر المرئية للجريمة المنظمة بوتيرة متسارعة.

وكمسألة، يبلغ حجم سوق الجريمة المنظمة ما بين 3.6 و4.8 تريليون دولار سنوياً وهي تمثل 7 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي للعالم. وتصل قيمة الاتجار بالمخدرات وحدها إلى نحو 682 مليار دولار سنوياً.

وبينما شهدت بريطانيا وفرنسا وبعض من الولايات الأميركية، مثل شيكاغو ولوس أنجلوس، انخفاضاً في منسوب الجريمة، قامت العصابات بتخزين المخدرات والمال على جانبي الحدود الجنوبية الغربية للولايات المتحدة، كما قال المتحدث باسم إدارة مكافحة المخدرات الأميركية استناداً على معلومات قدمها عمال المنازل يؤكدون فيها ارتفاع أسعار الأثاثات والكوكايين والهيريونين على جميع مستويات التجزئة والجملة.

وقال المتحدث باسم إدارة مكافحة المخدرات إن هذه علامة على أن الإمدادات قد تنفذ رغم أنها أيضاً علامة على أن الطلب لم ينقص، فوراء الكواليس، نجد مجموعات تهريب المخدرات حولاً بديلة للتدبيرات والقيود اللوجستية يعتقد بعض الخبراء أن التجارة هي في الواقع أكثر مرونة بكثير مما يسمح به المجرمون أنفسهم.

وللتدليل على ذلك يستشهد جيسون إيلي من المبادرة العالمية لمكافحة الجريمة المنظمة بقوله قديم لشارلز بودلير يقول فيها إن "أعظم دعة بحبيها الشيطان هي إقناعك بأنه غير موجود". ويقول إيلي لقد تمت ملاحظة أن الكثير من المقابلات مع أعضاء كارتلات